

الآراميون

"تاريخا و لغة وفنا"



مَكْتَبَةُ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ

المدرسة السورية الإلكترونية

Syrian Electronic School

الآراميون

"تاريخاً و لغةً وفناً"

الدكتور علي أبو عساف

الممالك الآرامية في الجزيرة

أصبحت الأبحاث الآشورية المتعلقة بالآراميين غامضة بعد وفاة تجلات فليصر الأول (1112 - 1074 ق.م.) وحتلا عهد هدد نيراري الثاني (912 - 891 ق.م.) فهي لا تعطينا فكرة واضحة عن كيفية توغل الآراميين في الجزيرة الشامية وعن حقيقة وجودهم هناك. وإن كان من الصعب على المرء أن يحدد بدقة بداية العصر الذي أخذ فيه الآراميون بالوصول إلى هناك، فإنه من الممكن القول استناداً إلى الأخبار المتوفرة لدينا من بعض الملوك الآشوريين الذين تعاقبوا على الحكم بعد تجلات فليصر الأول، وخاصة هدد نيراري الثاني، أن الآراميين قد استقروا في أعالي الجزيرة خلال القرن الثاني عشر ق.م.

أ. الآراميون في منطقة طور عابدين

لقد انتهج هدد نيراري الثاني (912 - 891 ق.م.) سياسة توسعية مثل "تجلات فليصر" الأول، فهاجم القبلة الآرامية {تامانيتا} {تيمانيا} في منطقة طور عابدين، وفي ضواحي نصبين حيث كانت هذه القبيلة قد استقرت هناك، وأخذت تنظم نفسها سياسياً واجتماعياً. ويذكر هدد نيراري الثاني أنه واجه الآراميين هناك بقيادة ثلاثة من أمرائهم هم: نور هدد في نصيبين و ماملو ملك خوميرينا، التي هي الآن سلطان تبه إلى الشمال من حران و موقورو ملك جدارة الواقعة إلى الجنوب الغربي من ماردين والتي احتلها الآراميون في عصر تجلات فليصر الثاني (964 - 933 ق.م.) وسموها رادماتا. وكان نور هدد أقوى خصوم الآشوريين، ولم يكف لحظة واحدة عن محاولاته القضاء على نفوذهم، وأخيراً وبالاعتماد على جيشه وعلى الآراميين الآخرين ثار عليهم، فهاجمه {هدد نيراري} الثاني خلال حملته السادسة على منطقة الجزيرة. بعد معارك عنيفة دامت ست سنوات احتل المقاطعات الآرامية الثلاث: جدارة و خوزيرينا و نصيبين، وحولها إلى مقاطعات آشورية واسر نور هدد، ونقله مع أفراد عائلته وقبيلته إلى مناطق مجاورة لـ "تينوى" حيث اسكنوا هناك (1)

مَرْوَمَدًا مَهْرُومَدًا كَقَهْنُمَدًا

المدرسة السريانية الإلكترونية

ب . بيت زمني

وإلى المال من طور عابدين، على ضفاف نهر دجلة، افلح الآراميون بتأسيس دولة بيت زمني. ومن مقارنة هذا الأسم مع غيره من أسماء الدويلات الآرامية مثل بيت ياكين و بيت شابايا.. الخ نرجح ان كلمة زمني هي اسم الشخص الذي كان زعيم القبيلة الآرامية حينما وصلت تلك المنطقة، واستقرت فيها. ثم تمكنت بقيادته من تأسيس دولة عرفت بالمصادر الآشورية باسم بيت زمني وكانت اميدي، التي هي ديار بكر الحالية، عاصمة المملكة. ومن اهم مدن هذه الدولة تيدو الواقعة بجوار مدينة ماردين. لقد كان العاهل الآشوري {تيكولتي نينوريا} الثاني (891 . 884 ق.م.) أول من ذكر اسم هذه الدولة حينما غزا أراضيها عام 885 ق.م.، واستبدل حاكمها (اسمه غير معروف) بحاكم آرامي آخر هو {عمي بعلي} الذي اعترف بسلطة الآشوريين (2) وحين توفي تيكولتي نينوريا الثاني، بقي عمي بعلي خاضعاً للآشوريين، ثم تمرد عليهم وعلن العصيان بالاتفاق مع حليفه بور راماتو أمير مدينة سينابو. فجرد الملك آشور ناصر بال الثاني (883 . 859 ق.م.) جيشه ليخمد نار التمرد والعصيان في تلك الديار عام 879 ق.م. وبعد ان قضى على الثورة كان نصيب بورراماتو حليف {عمي بعلي} الصلب. أما عمي بعلي فقد خلع عن العرش، ونصب مكانه اخوه {ايلانو}. وحتى يضمن العاهل الآشوري سيطرته على تلك الديار، وضع حاميات آشورية في مدينة سينابو وأخرى في مدينة تيدو، التي كان قد جعل منها {سلمانصر} الثاني (1028 . 1017 ق.م.) نقطة انطلاق في حروبه ضد بلاد نأري. وبعد وفاته، استولى عليها الآراميون، وبقيت بأيديهم حتى عهد آشور {ناصر بال} الثاني. ورغم قسوة الآشوريين، ووضعهم حاميات في دولة بين زمني، تمرد الآراميون عليهم، ولم يكن بمقدور عميلهم ايلانو أن يسيطر على الموقف، فعاد آشور ناصر بال الثاني لمهاجمة المملكة، وتخليص الحاميات الآشورية من ايدي الآراميين، فتحقق له ذلك وسبى 1500 رجلاً من رجال عمي بعلي (3) ويبدو من هذه العبارة ان انصار عمي بعلي هم أصحاب الثورة. ورغم هذه الإجراءات العنيفة، ثار {ايلانو} فيما بعد على سلطة سيده الذي عاود الهجوم على البلاد، فأخضعها، وأعاد النفوذ الآشوري قوياً أكثر من ذي قبل. وبهذا تكون قد تمت سيطرة الآشوريين على تلك الأجزاء، وخضع لهم الحكام المحليون الذين حافظوا على مراكزهم وعلى المصالح الآشورية، وامتنعوا عن التحريض على الثورة ضد الآشوريين.

وهذا استقينا أخبار هاتين القبيلتين من المصادر الآشورية فقط، لأنه لم تجر تنقيبات أثرية عالمية في أي من مدنهم، كان من الممكن ان تأتينا بأخبارهم. وعلى العكس من ذلك، فان معلوماتنا عن مملكة {بيت نحاني}، التي سنعرض لها الآن، قد حصلنا عليها من المصادر الآشورية والبحيانية.

ج . بيت بحيني

وصلت عشرة بحيني الآرامية إلى جوار كنابع الخابور واتخذت من مدينة {جوزن} ، التي هي تل خلف جوار بلدة رأس العين، عاصمة لها، منذ أواخر القرن الثاني عشر. ورغم أننا لا نستطيع تعيين حدود هذه الدولة فمن المرجح أنها سيطرت على جزء كبير من حوض الخابور الأعلى، وحاورها من الشرق مملكة {نصيبيين}، ومن الغرب مملكة {بيت عديني}، حيث كان البليخ الحد بين المملكتين. وأول ذكر يرد لـ بيت نحاني" كان في حوليات الملك الآشوري هدد نيراري الثاني (912 . 891 ق.م.) حينما قاد حملته الخامسة (894) على بلاد (خاني جلبات)، ودخل جوزن عاصمة بيت بحيني دون مقاومة، وارغم حاكمها أبي سلامو على دفع جزية كبيرة. كان هذا

أول وأهم خبر عن دولة بيت بحيانى فى المصادر الآشورية، غير ان التنقيبات الأثرية التى قام بها البارون {فون اوبنهايم} من 1911. 1913، وخلال عامى 1927 و 1929، قدمت لنا وثائق آخري تلقي ضوءاً على تاريخ هذه المملكة (4) فإلى جانب القصور والمعابد والأوابد المعمارية الأخرى والمنحوتات... الخ، اكتشفت كتابة اللغة الآشورية (الأكديّة) تخص الملك {كباره} الذى يقول انه ابن {خديانى} ملك بلاد {ختي} {اوبالية}.

وبما ان الاسم مشوه اختلف العلماء على قراءته، ولم يتوصلوا إلى حل بعد. ومهما يكن الأمر فالاسم مرادف لاسم بيت بحيانى الذى أطلقه الآشوريون والآراميون انفسهم على هذه المملكة. ومما يلفت النظر فى كتابات كباره العبارة التالية:

{ما لم يعمله ابي عملته انا} فهل يمكن أن نستنتج من هذه العبارة حقائق تاريخية تتلق بمراحل استيطان الآراميين لتلك المنطقة؟ يتبين من هذه العبارة أن {كباره} ليس أول ملك لدولة بيت بحيانى، وان والده خديانى، وجده بحيانى، لم يهتما بالعمران. واذا تساءلنا عن السبب نرى انه يكمن فى شيء واحد وهو أن سلفى كباره كانا قد قادا القبيلة الآرامية إلى تلك المنطقة. فاهتما قبل كل شيء بتوطيد اركان سلطتهما السياسية. ولا بد أنها قد قضيا فترة طويلة من الزمن فى السعي وراء تحقيق هذا الهدف. وحينما جاء كباره وجد أن الاستقرار والأمن قد استتبأ فى أرجاء الدولة، فالتفت إلى العمران. واذا القينا نظرة على نتائج الحفريات الأثرية فى تل حلف، نجد أنها تدعم وجهة نظرنا. فقد شيد أسلاف "كباره" القصور والمعابد والأبراج... فهدما وبنها من جديد. لأنها كانت على الأرجح بسيطة عادية لا تليق بالملوك.

ونستفيد من هذه المعطيات أن بحيانى هو أول شيخ (امير) ارسى دعائم الأمن والاستقرار فى هذه المنطقة، فكان جزاؤه أن سميت المملكة باسمه. ونظن انه قد حقق هذا الأمر بعد وفاء تجلات فليصر الأول (1074 ق.م.)، وتخلي الآشوريين عن محاربة الآراميين. وان شئنا تحديد عصر حكم "بحيانى" بالأرقام لما استطعنا ذلك، على الأرجح انه حكم فى القرن الحادى عشر. ولا نعرف خلفية بحيانى، وقد لا نخطيء اذا قلنا ان خليفة كلن خديانى والد "كباره"، لأن استقرار الحوادث التاريخية يدعم هذا القول. وقد قلنا ا ناول ذكر لمدينة جوزن عاصمة بيت بحيانى ورد فى حوليات الملك "هدد نيرارى" الثانى عام 894 ق.م. وكان يحكمها ابي سلامو. وذكر آشور ناصر بال الثانى (883 . 859 ق.م.) انه استلم الجزية عام 881 ق.م.

من أمير {بيت بحيانى} الذى لم يذكر اسمه. وبعد ذلك بخمس سنوات أتى على ذكر بيت بحيانى، ولم يذكر اسم أميرها.

ونظن ان عدم ذكر اسم الأمير دليل على عدم أهميته. ،أى كان الأمير لن يكون ذاك الأمير كباره الشهير، ولا ابي سلامو الذى ذكره "هدد نيرارى" الثانى. ولا بد والحالة هذه من ان يكون كباره قد سبق سلامو فى الحكم (5) وان ابي سلامو قد توفي قبل غزو آشور ناصر بال الثانى لـ {جوزن} ومن هنا نستنتج ان التسلسل المفترض لحكم جوزن الأوائل هو كالتالى:

{بحيانى} و {خديانى} و {ابى سلامو} وكلهم منذ القرن الحادى عشر وحتى مطلع القرن التاسع (6) وعلاوة على هذا الذى ذكرناه، فهناك تمثال، اكتشف عام 1979 فى تل الفخيرية جنوبى رأس العين شمال سورية ففش عليه نسان بالخط الآشورى والآرامى زاد معلوماتنا عن هذه المملكة. هذا التمثال هو للملك الآرامى {هدد يسعي بن شمش نورى}، نذره للرب هدد، ونصبه فى معبده بمدينة سيكاني: ونقرأ فى النص ان شمش نورى كان ملك جوزن، وهدد يسعي ملك جوزن وسيكاني وازران. هذا يعنى ان سيكاني (تل

الفخيرية)، التي تقع إلى الشرق من جوزن (يل حلف) حوالي 7 كم، و {أزران} التي نجعل موقعها، كانتا غير خاضعتين لـ {شمش نوري} والد {هدد يسعي}.

وإذا ما أعدنا إلى الأذهان أن آشور ناصر بال الثاني (883 . 859 ق.م.) قد ذكر انه استلم الجزية من امير بيت بحيانى، ومن حاكم سيكاني عام 881 جاز لنا القول ان شمش نوري قد حكم في هذه الفترة التي لم تكن فيها {سيكاني} تابعة لـ {جوزن}، بل مستقلة عنها. ومما يدعم وجهة نظرنا هذا ان قوائم التزامن الآشورية تذكر ان شمش نوري كان يحكم جوزن عام 868، أي في عصر الملك آشور ناصر بال الثاني. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان ابي سلامو ملكاً على جوزن في عصر هدد نيراري الثاني (912 . 891 ق.م.) جد آشور ناصر بال الثاني. ومن المرجح ان يكون شمش نوري هو ابن ابي سلامو، وهدد يسعي حفيده، الذي ضم إلى مملكته مدينتا {سيكان} و {أزران}. وقد حكم في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م زمن حكم {سلمانصر} الثالث (858 . 824 ق.م.)، الذي لم يذكر انه هاجم جوزن، أو استلم منها الجزية مما يدل على استقرار الأوضاع فيها، واعترافها بالسيادة الآشورية (7)

وعلى اثر قيام ثورة ضد سلمانصر الثالث عام 827، بقيادة ابنه اشوردان ابلي، واضطراب الأحوال في المملكة الآشورية، قامت ثورة في جوزن، قاها على الأرجح زدنت، طمعا في تخلص بلاده من النفوذ الآشوري. ولكن بعد استقرار الأوضاع في آشور، واعتلاء هدد نيراري الثالث (811 . 782 ق.م.)، عرش آشور، قضى هذا الملك عام 808 على التمرد، والياً آشورياً هو {مانوكي آشور} على هذه المدينة. وبهذا يكون قد انتهى حكم الآراميين فيها، وحل الولاة الآشوريين محل الأسرة الآرامية، التي حكمت البلاد بضعة قرون، ونعرف من بين أسماء حكامها: {بحيانى} و {خديانى} و {كباره} و {ابى سلامو} و {شمش نوري} و {هدد يسعي} و {زدنت}.

ومنذ عام 808 أصبحت جوزن ولاية آشورية امتدت حدودها حتى طور عابدين، إلى الجنوب من ديار بكر شمالاً، وحتى حدود ولاية نصيبين (جوار القامشلي) شرقاً. أما حدودها الجنوبية والغربية فهي غير معروفة، لأن الأراضي الواسعة الممتدة إلى اليسار من نهري البليخ والفرات كانت مشاعاً لسكان حوض هذين النهرين، وسكان المنطقة الممتدة من {تل ابيض} غرباً، وحتى {راس العين} شرقاً.

وحكم الولاية ولاة آشوريون، خضعوا لمراقبة والى نصيبين، الذي أنيط به امر تنفيذ أوامر الملك. وفي ما عدا ذلك كان الوالى الحكم المطلق، يعود إلى الملك في شؤون الحرب والنزاعات المحلية، ويتصل به بوساطة السعاة، الذين ينقلون البريد بين العاصمة ومقر الوالى.

واستتب الوضع للآشوريين في هذه الولاية من عام 808 وحتى 612 حينما سقطت المملكة الآشورية، وقامت الدولة البابلية الجديدة، التي ورثت الحكم الآشوري في المشرق "العربي".

ومع أن جوزن قد خضعت للبابليين، وسكنتها جالية بابلية، إلا أننا لا نعرف فيما اذا كانت قد بقيت ولاية مستقلة، ام ألحقت بـ {نصيبين} مثلاً (8)

د . أمارات بلاد لاقى

وبعد ان استقبل هدد نيراري الثاني الخزية من ابي سلامو امير بيت بحيانى ومن مدينة سيكاني، سار ملازماً مجرى الخابور حتى وصل مدينة {قطني}، عقدة المواصلات الهامة في بلاد الجزيرة. وتقع قطني بين تل عجاجة الذي كان اسمه القديم شادو كاني، ثم حول إلى عربان بعد الفتح "العربي". ومنذ مطلع هذا القرن صار يعرف باسم تل عجاجة على بعد 30 كم جنوبي الحسكة، وبلدة الشداد 45 كم جنوبي الحسكة ايضاً. وكان يحكمها آذاك الأمير يلو هدد الذي رحب بـ {نيراري} الثاني، ودفع له الجزية، كما دفعها فيما بعد لـ "آشور ناصر بال" الثاني. ومن قطني زحف الجيش الآشوري على بلاد لاقى التي كانت تشمل الجزء الجنوبي من حوض الخابور وحوض الفرات الممتد بين بلاد سوحى في الشرق وبيت عديني في الغرب. وعاشت في هذه البلاد بضعة عشائر آرامية منها عشيرة حديفة التي كان أميرها برعتاره بن خالو في أول من خضع للملك الآشوري، وقدم له الجزية دخل عاصمته {سورو} (تل سوار الحالي الذي يقع على بعد 40 كم إلى الشمال من مصب الخابور بالفرات).

بعد ذلك سار العاهل الآشوري نحو ترقة التي هي بلدة العشارة الحالية الواقعة بين ماري ومصب الخابور بالفرات، فدخلها واستلم له أميرها "مودا دل" وقدم له الجزية. كانت أمانة خنداتو التي تقع إلى الجنوب من ماري على حدود بلاد سوحى نهاية حملة الملك الآشوري على ممالك العشائر الآرامية في بلاد لاقى الذي ذكرت لأول مرة في حوليات هذا (9) وفي دراستنا لحملة هدد نيراري الثاني على ممالك العشائر الآرامية في حوض الخابور والفرات الأوسط استطعنا ان نتعرف إلى مملكة {قطني} و{سورو} (عاصمة عشيرة حديفة) و {ترقة} و {خنداتو}. فماذا نجد من جديد في عهد {تيكولتي نينورتا} الثاني (890 . 884 ق.م). خليفة هدد نيراري الثاني؟ لقد اقتدى هذا الملك بوالده، وشن الغارات على الآراميين. وخلال احدى حملاته خرج من آشور نحو الشرق بحذاء وادي الطرطاره حتى اجتاز الدجلة عند مصب نهر الأعظم. ومن هنا اتجه نحو دوركوري كالصو (عكركرف)، فدخلها وسار نحو {سبيبار} فدخلها ايضاً، ثم قفل راجعاً نحو الشمال عبر حوض الفرات حتى وصل بلاد سوحى فأخضعها. وفي عانة اكبر مدن سوحى جمع الجرية من شيوخها، ثم زحف على بلاد خنداتو فأخضع فيها مدينتي ناجياته و {عقربا} حيث وافاه اليها مودا امير ترقة المار ذكره فقدم له الجرية. ثم دخل مدينة {سوري} حيث اخذ الجزية من المير حمايتا، وخلف حقول (مزارع) "كاسي" قدم له الجزية ثانية موداده امير ترقة، وبعدها فتح مدينة عربانا واخذ الجزية من المير حران اللاقي.

وبعد هذا كله اجتاز الملك الآشوري الفرات عند مصب الخابور، وسار نحو {سورو} (حديفة) عاصمة بيت خالوفي، فدخلها واخذ الجزية من {حراني}. وبعدها دخل مدينة اوساله و دور كتليمو آخر مدينة شمالية في بلاد {لاقية} وهي تل شيخ حمد على الضفة اليسرى لنهر الخابور بين بلدي الصور في الجنوب والشدادة في الشمال (10)

أن العناصر الجديدة في أخبار تيكولتي نينورتا الثاني هي: ذكره لمدينتي {ناجياتا} و {عقربانا} في بلاد خنداتو (لايزال موقع كل من هاتين المدينتين مجهول، ويجب التفتيش عليهما بين عانة والعشارة على الضفة اليمنى لنهر الفرات)، ولأمير خلماتايا اللاقي الذي لا نعرف مقره، ولعله امير سورو أي من أمراء بيت خالوف أو لاقى وترجح الباحثة هيلين صادر، أن أصله من حماة (11) ومن خلال الأخبار إيها تذكر مدينتا سوري و عربانا (لعلهما في منطقة البوكمال). ويذكر الأمير حراني اللاقي (منطقة نفوذه مجهولة)، وتذكر أيضاً حقول كاسي المجهولة الموقع والمرجح انها بين العشارة و البوكمال. كما تذكر اوساله الواقعة الى الجنوب من دور كتليمو.

لقد تمكن هدد نيراري الثاني من بسط النفوذ الآشوري على بلاد "لقية" دون مقاومة تذكر. وفي عهد تيكلتي نينورتا الثاني خضعت بلاد لاقية للآشوريين أيضاً، ولكنها قاومت السيطرة الآشورية. إذ يستدل من النصب التذكاري الذي عثر عليه في تل عشارة (مدينة ترفة القديمة) ان هذه المدينة قد ثارت على العاهل الآشوري واخذ ثورتها، واعاد النفوذ الآشوري عليها. وتخليداً لهذا الانتصار الهام، ترك تيكلتي نينورتا الثاني نصباً تذكاريّاً، نرى على احد جوانبه اله الطقس هدد وهو يقتل شعباناً كبيراً ورأسه مقرن. ويرمز هذا المشهد إلى تحطيم قوة العدو من قبل الملك بمساعدة الرب هدد. ويحمل هذا النصب كتابة مؤلفة من عدة سطور. ويبدو ان هذا الحدث قد وقع عام 884 ق.، قبيل وفاة العاهل الآشوري، وبعد حملته السابقة على تلك البلاد (12)

وفي الواقع كانت سيطرة الآشوريين على بلاد لاقية اسمية، فالحكام آراميو ولا يرتبطون مع الآشوريين بمواثيق أو معاهدات تكفل خضوعهم لهم، ولكنهم يدفعون الجزية فقط، ويحترمون سلطة الملك الآشوري، ويعترفون بنفوذه. وحدث بعد اعتلاء آشور ناصر بال الثاني (883 . 859 ق.) عرش آشور أن قامت ثورة في سوري عاصمة بيت خالوفة ضد أميرها الآرامي {خاماني} المعين من قبل تيكلتي نينورتا الثاني، ادت إلى اعدامه، وتنصب حاكم آخر مكانه اسمه آخي - عابا من آراميي بيت عديني. وعند وقوع الثورة عام 882 سارع العاهل الآشوري لانقاذ الموقف، والتدخل لصالح الفئات الموالية لآشور، فانتمت من الثوار بضراوة، إذ اعدم المتمردون ونصب حاكماً جديداً هناك اسمه عزي ايلو. اما بقية أمراء البلاد فلم يشتركوا بالمقاومة، بل سارعوا لدفع الجزية في سورو اتقاء شر الآشوريين. ونعرف ممن دفعوا الجزية جنائي امير {خنداتو}. اما ايلو - ايني امير سوجي فقد ذهب إلى كلخو (نمرود) عاصمة آشور باصر بال ليقدم الجزية، ويظهر الولاء للآشوريين.

وفيما بعد عاد السوحيون وشقوا عصا الطاعة على العاهل الآشوري اياه، فخرج من كلخو، وعبر الدجلة، وسار باتجاه الغرب نحو الخابور. وتذكر لنا حوليات هذا الملم أسماء المدن والبلدان الآرامية التي قدمت له الجزية قبل وصوله إلى بلاد سوجي. وهي قطني (مر ذكرها) و شوفايا (تذكر لأول مرة ولعلها بين قطني ودور كتليمو) ودور كتليمو و بيت خالوفة و ترفة وصويري و عقراباني (مر ذكرها) على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين العشارة وعانة) و خنداتو (مر ذكرها). وبعد هذا تقول الحوليات ان الملك قد تسلق الجبال المطلة على الفرات وتوجه نحو بيت حشابايا المقابلة المدينة خاريدي والتي تقع بين عانة وخنداتو. ومن هنا سار إلى سورد حصن شادو حاكم {سوجي} الذي قاوم الآشوريين بمساعدة البابليين، ولكنه انهزم أمامهم فيما بعد.

وعاد الملك إلى عاصمته كلخو، فاتته الأخبار بنشوب ثورات من حديد في بلدان لاقية و خنداتو و سوجي، فقفل راجعاً إلى تلك البلاد، لما وصل إلى سوري عاصمة بيت خالوفة أمر ببناء السفن لجيشه، ثم سار حذاء الفرات. فاحتل مدن خنتي . ايلو، و عزي ايلو الذي كان قد نصبه على تلك البلاد قبل مدة. وتقول حوليات هذا الملك انه دمر المدن ونهب خيراتها وسبى سكانها، بينما كان أمراء البلاد يستعدون لخوض المعركة الفاصلة مع الآشوريين عند مدينة خاريدي على الضفة الثانية للفرات. واحتاز الآشوريون الفرات بواسطة السفن التي كانت قد صنعت لهم في سوري عاصمة بيت خالوفة عند "خاريدي"، وتقابلوا مع جيوش لاقية وخنداتو و سوجي حيث وقعت المعركة الفاصلة التي انتصر فيها الآشوريون، بينما انهزم الحلفاء أمامهم. أما "عزي ايلو" الخصم العنيد فقد تنسحب نحو الغرب إلى مدينة كيينا لينظم صفوفه من حديد، فلحق به الآشوريون، ففر من "كيينا" والتجأ إلى جبال بشري موطن الاحلامو. الآراميين (13)

وفي النهاية خضعت هذه البلاد للآشوريين، وأصبحت مقاطعات تابعة لهم يديرها حكتم آشوريون أو محليون تابعين ومخلصين للآشوريين. وفي هذه الأخبار يكشف الملوك الآشوريون عن ثلاثة أقاليم قطنتها قبائل آرامية وهي: بلاد "لاقي" الممتدة على ضفاف الخابور الأسفل من الشدادة حتى مصب الخابور بالفرات، وعلى ضفاف الفرات بين دير الزور و العشارة وبلاد خنداتو على ضفاف الفرات بين العشارة وبلدة العبيدي في العراق وبلاد سوجي على ضفاف الفرات ومقرها عانة الحالية.

لقد تناولت النبذة السابقة أخبار حروب الآشوريين والآراميين في منطقة الخابور وأواسط الفرات، التي كانت تحت حكم الآشوريين في النصف الأول من الألف الثاني ق.م. وفي عهد الملك الآشوري شمشي هدد الأول (1815 - 1782 ق.م.)

كانت مدينة شوبات إبليل (= مثابة أنليل)، التي هي الآن بعد {ليلان} إلى الجنوب الشرقي من مدينة القامشلي، العاصمة الثانية للدولة بعد "آشور" (14) وبالتالي المقر الإداري لمنطقة شرق الخابور، وغربي الدجلة.

وبعد قدوم الحوريين - الميتانيين للمنطقة، وقيام الدولة الميتانية في الجزيرة، تبعها الجزء الغربي من بلاد آشور، أي مدينة شوبات - أنليل وتوابعها، مدة قرن من الزمن. وفي القرن الرابع عشر ق.م. عادت ثانية إلى السيطرة الآشورية، وأصبحت - أغلب الظن - مدينة كتليمو، المار ذكرها أعلاه، عاصمة المنطقة، أو أهم مدنها. ودلينا على ذلك الوثائق الاقتصادية والإدارية والمراسيم التي اكتشفت فيها، وتعود إلى عصر الملكين الآشوريين "سلمانصر" الأول (1247 - 1245 ق.م.)، و تيكلوتي نينورتا الأول (1244 - 1208 ق.م.). وتنبئنا هذه الوثائق بأهمية المدينة والمنطقة عند الآشوريين (15)

ولكن بعد خلع تيكلوتي نينورتا الأول، ضعفت الدولة الآشورية، وسقطت "دور كتليمو" بأيدي الآراميين من قبيلة لاقى الذين كانوا قد هاجروا إلى المنطقة تبعاً قبل هذا التاريخ. ولم يدم خضوع دور كتليمو للآراميين طويلاً بل أعادها الملك الآشوري آشور - بل - كالا (1074 - 1057 ق.م.) لسلطة آشور لأنها جزء من بلادهم.

وتأسياً على ما تقدم، نرى سبب هذه الحرب التي ذكرت، سياسي اقتصادي. فالآشوريين يشنون ورتوا المنطقة والآراميون رحلوا إليها للمرعى والأرض الخصبة. وما انفك الآشوريون يشنون الغارات على الآراميين حتى اعترفوا بسيادتهم مقابل الاعتراف بوجودهم. ويستدل من الوثائق المكتوبة بالخط الآرامي، والمكتشفة في دور كتليمو ان الآراميين قد تمتعوا بالحكم الذاتي، وكتبوا وثائقهم بخطهم وبلغتهم (16). ونعرف من اجبار الآشوريين ان الحكم المحليين كانوا آراميين، ولم يستبدلوا بآشوريين، إلا في حال تمردهم وعصيانهم.

هـ - بيت عديني

يتألف الاسم من {بيت} مضافاً إليه {عديني} {عدن ، عدان} (أي الوقت المحدود كفصل القيطز أو الخريف... الخ) وسيطرت هذه المملكة على حوض الفرات الممتد من جرجميش وبلاد لاقى. ووصلت حدودها الشرق حتى نهر البليغ، الغربية حتى بلدي الباب و اخترن. وكانت عاصمتها مدينة تل برسيب (الآن تل احمر على الضفة الشرقية لنهر الفرات 20 كم جنوبي جرابلس). وإذا حللنا اسمها نجده مركباً من: {تل} و {بر} (=ابن)، و {سيب} أو {ديب} وتعني {تل بن سيب}. ويدل هذا بوضوح على ان برسيب اسم شخص نسب إليه التل، أي المدينة المدمرة. وقد كشفت الحفريات الفرنسية في الموقع، والتي جرت في الثلاثينات من هذا القرن، على ان هذه

المدينة كانت خربة قبل وصول الآراميين إليها (17). ومع ذلك حط برسبب الرحال بها، فعمر التل، واطلق عليه اسمه. وهذا كل شيء تنبأنا به عن برسين. وجاء دراسة جديدة أجريها السيدان {ليمار} و {ودوران} على معاهدة {كتل- بيت اجوشي} ان كتل هي تل (18). وإذا صح هذا التحديد، وتأييد من وثائق أخرى، فانه سيكون على جانب كبير من الأهمية.

وعلاوة على ذلك نلاحظ ان اسم العاصمة غير اسم المملكة. وهذا ما كان مألوفاً عند الآراميين، واستثنائياً عند القبائل التي سبقتهم فالأكاديون نسبة إلى أكد العاصمة، والبابليون نسبة إلى بابل العاصمة والآشوريون نسبة إلى آشور العاصمة... الخ.

لقد وصل الآراميون إلى هذه المنطقة قبل عهد تجلات فلصر الأول وأخذوا في تنظيم انفسهم اجتماعياً وسياسياً طيلة القرن الحادي عشر وما ان اشرف هذا القرن على نهايته حتى اصبحوا على درجة من القوة والتنظيم، بحيث تمكنوا من احتلال وطرد الحماميات الآشورية من مدينة بيتر والوقعة عند مصب الساجور بالفرات إلى الجنوب من جرميش ومن مدينة موتكينو الواقعة على ضفة الفرات اليسرى. والجدير بالذكر ان الحماميات كان قد وضعها "تجلات فلصر" الأول (1112 _ 1047 ق.م.) في هاتين المدينتين، بينما وقع الحدث في عهد الملك الآشوري آشور ربي الثاني (1010 _ 970 ق.م.)

ودون في عهد {سلمانو أشيرد (= سلمانصر) الثالث (858 _ 824 ق.م.) وتمضي الأعوام، ويبقى الآراميون اسياداً في المنطقة، وتتعاظم قوة الآشوريين، ويندأ {هدد نيراري} الثاني (909 _ 889 ق.م.) التوسع نحو الغرب ولكنه لم يصل بفتوحاته بيت عديني ومع ذلك خافه اميرها (الذي لم يذكر اسمه) حينما وصل بجشبه إلى الخابور، فسارع عام 899 إلى ارسال سمكتين فراتيتين نادرتين إلى العاصمة آشور طمعاً في ارضاء الملك. (19) وبقيت هذه المملكة بعيدة عن السيطرة الآشورية طيلة عهد الملكين {تيكولتي نينورتا} الثاني (888 _ 884 ق.م.) و {آشور ناصر بل} الثاني (883 _ 859 ق.م.) الذي اكتفى بأخذ الجزية من آخوني أمير بيت عديني وكما سنى فان آخوني هو ابن عديني كما ورد في حوليات سلمانصر الثالث. وعثر في تل احمر على كتابة هيروغليفية لوفية ذكر فيها اسم {آخوني} (20)، الذي قاوم الآشوريين بعناد وصلابة، وسد عليهم الطريق نحو بلاد الشام الشمالية. غير ان مقاومته قد ضعفت مع الزمن امام قوة وبطش الآشوريين الذين شنوا عله حملات عديدة. ويخبرنا سلمانصر الثالث انه دمر مدن بلاد "آخوني بن عديني" خلال حملته الأولى عام 858 ق.م.. وخلال حملته الثانية عام 857 حاصر مدينة تل برسين ولم يدخلها على ما يبدو، بل اكتفى بسلب المدن الأخرى ونهبها. وخلال حملته الثالثة عام 856 عاود الهجوم على مدينة يل برسبب فووقت هذه المرة وحدها في وجهه، بعد لن كان قد خرب المدن الأخرى التابعة لها. وتروي الوثائق الآشورية ان اخوني بن عديني قد خاف سلاح {سلمانصر} الثالث فترك مدينته هارباً إلى ضفة الفرات اليمنى. لقد دخل الملك العصمة واحتلها دون مقاومة ومعها جميع أراضي ومدن دولة بين عديني الواقعة على ضفة الفرات اليسرى، واكتفى سلمانصر بهذا النصر، يطارد {آخوني} إلا في العام التالي 855 ق.م.. حينما خرج من نينوى بتاريخ 4 أيار متجهاً نحو الغرب. ولما وصل الفرات اجتازه ليلاحق آخوني عديني الذي كان قد اعتصم بقمة جبل في حوض نهر الفرات على الجهة المقابلة العاصمة ملكه. وصعد {سلمانصر} وجيوشه الجبل وقبض على آخوني وأفراد جيشه واقتادهم اسرى إلى "آشور" (21). وبهذا قصى على هذه الدولة، وأحالها إلى مقاطعة آشورية يحكمها والي آشوري ولم يكتف بهذا

الأجراء بل اسم عاصمتها من تل برسيب إلى "كور سلمانصر" أي حصن سلمانصر. وفي عهد تجلات فليصر الثالث أصبحت هذه المقاطعة تابعة لولاية حران. ويبدو ان تل برسيب كان مدينة عامرة في الدور الهلنستي وكان اسمها برسيبا (22) لقد كانت نهاية حكم آخوني بن عديني عام 855 ق.م. ونحن نعلم ان آخوني قد عاصر كلاً من الملك {آشور ناصر بال} الثاني (883 - 859 ق.م.)، و {سلمانصر} الثالث (858-854 ق.م.). ولا نستبعد ان يكون {آخوني} قد اعتلى العرش في عهد هدد نيراري الثاني (909-889 ق.م.). الذي ذكر اسم بيت عديني دون ان يذكر اسم اميرها. وعلى هذا الأساس يكون آخوني قد حكم في النصف الأول من القرن التاسع ق.م. وأن والده عديني قد سبقه في حكم، حكم في انصف الثاني من اقرن العشر ق.م. واذا كانت علاقة عديني-آخوني واضحة بالاعتماد على المصادر الآشورية، فان علاقة هذين الأميرين مع برسيب مؤسس الدول عكس ذلك.

وفي هذه الحالة لا بد لنا من الرجوع ما قاله سلمانصر من ان الآراميين كانوا قد احتلوا مدينتي بيترو و موتكينو في عهد آشور ربي الثاني (1010-970 ق.م.). هذا يعني ان الآراميين بقيادة برسيب قد ثبتوا أقدامهم هنا في النصف الأول من القرن العاشر ق.م.، ومن المحتمل ان يكون حكم {برسيب} قد امتد إلى النصف الثاني من القرن العاشر. واذا كان الأمر كذلك، فيكون "عديني" هو خليفة {برسيب}. ولا داعي لأن نفترض أن حكماً آخر قد حكم بين فترتي حكمهما. واستناداً إلى ما تقدم نجد ان ملوك بين عديني هم: {برسيب} و {عديني} و {آخوني}، الذين حكموا حوالي قرن من الزمن. واذا عدنا إلى نتائج الحفريات الاثرية، نجد انها تدعم النظرية، فالحكم الآرامي لم يدم هناك اكثر من قرن (23).

لقد تحدثنا عن تاريخ هذه المملكة كما استنتجناه من الوثائق الآشورية فماذا قدمت لنا الوثائق الآرامية؟. ففي احدث دراسة لنص معاهدة "برجاية" ملك "كتك" مع "متع ايل" ملك "ارفاد" (انظر ص 43):

وبهذا الخصوص افترض {اندرية ليمار} و {جان - ماري دوران} ان كتل هي يل برسيب وبرجاية هو شمشي ايلو (24).

الذي كان والياً على كار شلمانو آشيرد، (=تل برسيب) خلال النصف الأول من القرن الثامن ق.م.، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع حين ننتقل إلى فصل مملكة بيت اجوشي ونتطرق إلى المعاهدة اياها. ولقد ذاع صيت شمشي ايلو في بلدان آشور والجزيرة الشامية والشام لكثرة حروبه مع جيرانه، وغزواته المتكررة لهم. وقد وصلنا نقش يحتوي على القابه وأفعاله، وعلى أسماء المناطق التي أخضعها وتمتد من الزاب الأعلى حتى جبال الامانوس، عبر السهول الممتدة إلى الجنوب من طوروس (25). وقد نقش النص على أجسام اسود بازلتية كانت تزين باب تل برسيب. وليس هذا فحسب، بل قام بأعمال أخرى مثل تحسين وتجميل العاصمة وبعض المدن التابعة له. واهم من هذا كله انه كان نداً قوياً للملوك الآشوري الذين عاصروهم، فجاراهم في كل شيء، وخاصة في تصوير نفسه على جدران القصر وهو يستقبل الاتباع، أو الأسرى أو الضيوف مع هداياهم (26).

والحق يقال ان اهم الآثار التي وصلتنا من هذه المدينة تعود إلى عصر هذا الوالي، الذي لم يذكر اسم أي ملك آشوري في كتاباته.

واذا صح ما قاله الاثنان يكون الحكم في بيت عديني قد بقي للآراميين كما بقي لهم في بيت نحيانني (انظر ص 25 وما بعد)، ولكن تحت السيادة الآشورية. وتشير هذه الظاهرة بوضوح إلى احد المعالم الأساسية في السياسة الآشورية وهو: الإبقاء على الحكم المحليين

ملوكاً على رعاياهم يديرون المملكة، كولاة للملك الآشوري. والحكمة في ذلك الإبقاء على النظام القبلي الآرامي المتفكك في ظل السيادة الآشورية، فيأمنون شرهم ويضمنون طاعتهم.

ولقد ذكرنا أعلاه تفاصيل عن تاريخ هذه المملكة مستقاة من الوثائق الآشورية وفي أكثر هذه الوثائق ذكر لمدن، لم تكن في رأينا، إلا منازل لأفخاذ من قبيلة بيت عديني، التي حكمها اميرها وعاونه شيوخ أفخاذها ونقع على أسماء هذه المدن متقاربة أو متباعدة. ففي المنطقة الممتدة إلى الشمال من جبل {بشري} كانت مدينتي {دوميتي} {تذكرنا بدومة الجندل} أو {عزمو} (=آزمو). أما في أقصى الشمال من بلاد الشام، فكانت {كبرابي} أو {كفر ابي}، إلى الشمال الغربي، أو الشمال الشرقي من تل برسيب، وقد تكون بالقرب من أورفه أو إلى الغرب منها على الضفة الفرات اليسرى شمالي طرابلس (27). وبجوارها كانت على الأرجح مدينة "بقرو خبوني" أو {فقرو خبوني}.

وفي نفس المنطقة، إلى الشرق والشمال من جرجميش (جرابلس) كانت مدن: {لالاتي} و {يورمران} و {بيت اصالي} أو {بيت صل} إلى الشمال من {ارسلان طاش} (28).

هذا إلى الشرق من الفرات، أما إلى الغرب منه فكانت سورونو(سارين) على الضفة اليسرى لنهر الساجور، إلى الشمال الشرقي من جازيان تبه حوالي 15 كم، و يارينا أو (فاريفا) (مجهولة)، و تل باشيرا (=تل بشير) إلى الشمال الشرقي من دابق (29)، التي كانت هي نفسها تابعة لـ {بيت عديني}، وتقع إلى الشمال من اخترين في محافظة حلب.

ويبدو في هذا ان افخاذ قبيلة بيت عديني قد انتشروا في حوض الفرات من جبال بشري حتى ما دون جرابلس، التي وقعت بين جناحي بيت عديني: الغربي ويتألف من حوض الساجور والنصف الشمالي من حوض قويق، والشرقي ويمتد إلى الشمال من الخط الواصل بين تل برسيب على الفرات و تل ابيض على البليخ.

ليس هذا وحسب، بل لا نجد في الوثائق الآشورية اياها ذكراً لأي مدينة في حوض الفرات بين تل برسيب ومنطقة جبال بشري. فما هو السبب؟ وفي الواقع ان المصادر الآشورية لم تأت على ذكر أية مدينة بين مصبي الساحور والبليخ لأن الطريق التي سلكتها الحملات الآشورية على بلاد السام الشمالية كانت تبدأ من آشور أو كلخو (النمرود) أو نينوى وتمر ب نصيبين، وجوزن على منابع الخابور، و حران على البليخ، ثم جرجميش على الفرات. وقد نجم عن ذلك ان بقي هذا الجزء من حوض الفرات بعيداً عن مسرح العمليات افتقدنا إلى معلومات عنه وعن أفخاذ قبيلته عديني التي لا بد وان سارعت لنجدة شيخها ضد الآشوريين.

و . مملكة بيت اجوشي أو بيت جش

كنا نتمنى ان تكون الوثائق التي نمتلكها اكثر عدداً وافضل وضعاً مما هي عليه الآن بين ايدينا، حتى تكون كتابة تاريخ هذه المملكة سهلة ووافية بعرض دورها في الحياة السياسية ببلاد الشام خلال عصر الممالك الآرامية.

والأمر ليس كذلك، لذا نحن ملزمون باستنطاق المكتشف منها في دور محفوظات الملوك الآشوريين، أو كمسلات حجرية ظهرت في تلال محافظة حلب، وحين نستقري هذه الأخبار نجد انفسنا أمام جمل وعبارات قصيرة، نلمسها في سرد غير متكامل (30).

وسنبدأ بما ذكره آشور ناصر بال (859.883 ق.م.) أثناء حملته إلى {جرجميش} و لبنان بين عامي (866.876 ق.م.) عن هذه المملكة لأنه حتى الساعة اقدم خبر عنها. ففي كونلوا، احدى مدن مملكة بتينا في سهل العمق وحوض عفرين، استلم الخزية من جوشي ياهاني، كانت مغرية منها الذهب والفضة والملابس والمفروشات (31).

ونرجح ان جوشي هو نفسه الذي نسبت الية فيما بعد، واصبحت تعرف بيت اجوشي بدلاً من ياهاني. وياهان هو اسم علم نسب اليه "جوشي". وهو بالتالي الاسم الاقدم لهذه المملكة الآرامية، التي تأسست في محافظة حلب قبل هذا العصر. ونستعد ان يكون اسم مكان لأن عاصمة المملكة كانت ارفاد، وفي عصر سلمانصر الثالث (824.858 ق.م.) خليفة آشور ناصر بال كان الشيخ آرام حاكماً على جوشي(32). ومعنى ذلك أن آرام هو خليفة جوشي لان من عادة الآشوريين نسب المملكة إلى والد أو جد الملك الذي يقابلونه مع ذكر اسم والده.

ولهذا يبدو ان ياهان قد حكم قبل عصر آشور ناصر بال الثاني وتبعه {جوشي} معاصراً له. ثم آرام معاصراً لـ سلمانصر الثالث. اولئك هم ملوك "بيت جوشي" الذين لم يحاربوا الآشوريين ، بل دفعوا لهم الجزية. ولم يشترك {آرام} في التحلف ولا في معركة {قرقر} ضد الآشوريين عام 853، بل دفع الجزية للملك الآشوري. والجدير بالذكر ان هذا الحلف قد ضم ممالك بلاد الشام الجنوبية والوسطى، ولم تدخله ممالك بلاد الشام الشمالية. ولم نسمع في الأخبار ان مملكة بيت اجوشي قد ساعدت جارتها الشرقية القوية بيت عديني ضد "سلمانصر". ومع ذلك يذكر سلمانصر انه في عام حكمه العاشر 849 والحادي عشر 858 ق.م. هاجم وخرّب مئة مدينة لـ "آرام"؟ فقد دك اسوارهم وحرق منازلهم(33). ونقرأ هذه الجملة فلا نجد فيها اسماً لأية مدينة، ولا ذكراً لسبب التدمير والخراب، لأن {سلمانصر} ليس بحاجة إلى ذكر الأسماء لأنها كثيرة، ولأن الخراب والتدمير كانا ديدانه.

وبعد وفاء سلمانصر الثالث شحت الأخبار عن بيت اجوشي. وبعد ما تقرب من عشرين عاماً على وفاة سلمانصر الثالث، يذكر {هدد نيراري} الثالث (810 . 783 ق.م.) انه غزا ارفاد عاصمة بيت اجوشي، وكان ملكها {عترسمك} (34).

ولحسن الحظ وفي عام 1903 عثر في قرية أمس بجوار سراقب على نصب لملك حماه اسمه ذاكر يعود لحوالي عام 810 ق.م. تقريباً (انظر ص 129 وما بعد)، وعليه كتابة منقوشة تحدثنا عن قيام تحالف ضد ذاكر، ضم إلى جانب بر هدد ملك دمشق الملك برجوشي (=ابن جوشي)، الذي نرجح انه ابن جوشي وأخ آرام اللذان مر ذكرهما، او انه ابن آرام. واذا كان الأمر كذلك يكون برجوشي (=برجش) قد حكم في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م.، وانه توفي قبل عصر هدد نيراري الثالث، لأن هذا الأخير قد ذكر اسم {عترسمك بن ادرامو} ملك {ارفاد} حوالي عام (796 ق.م.). وان كانت أخبار هدد نيراري الثالث و ذاكر ملك حماة كسابقتها في الندرة وعدم الكفاية، نجد في الأولى ذكراً لارفاد عاصمة المملكة، وهو شيء لم نألّفه من قبل، وفي الثانية الملك برجش الذي نسبت اليه المملكة فيما بعد لأهميته على ما نعتقد. ويبدو ان هذا الأخير هو ابن آرام، وقد خلفه على العرش ادرامو الذي حكم مدة قصيرة ثم تبعه عترسمك. وكان موت. سلمانصر الثالث، وما تبعه من اضطرابات داخلية في آشور ايذاناً بضعف الدولة الآشورية، وحينما توفي هدد نيراري الثالث ترك المملكة على عتبة حقبة زمنية اتصفت بالهدوء والسكون، وجنوح الملوك الثلاثة الذين حكموا خلالها من عام (783 . 745 ق.م.) نحو السلم والراحة، والابتعاد عن غزو البلاد المجاورة. ليس هذا وحسب بل ان الوالي الآشوري شمشي ايلو، الذي عاصر هدد نيراري الثالث (810 . 783 ق.م.) و سلمانصر الرابع (782 . 772 ق.م.) و آشوردان الثالث (772 . 755 ق.م.)

و آشور نيراري الخامس (754 - 745 ق.م.) قد استقل في ولايته التي كانت عاصمتها تل برسيب (كارشلمانو آشيرد) وهيمن على المناطق الشمالية من الشام (انظر ص 37).

ويرجح السيدان {اندرية ليمير}. و {جان ماري دوران} انه من اصل آرامي ومن اقليم {بيت صلل}، ويحمل اسمين:

{شمشي ايلو} و {برجاية}، ويلعب {توريان} {والي} كارشلمانو آشيرد (تل برسيب) فعلام يعتمد الباحثان في هذا التعليل؟:

لقد اتاح اكتشاف تمثال هدد يسعي (انظر 27 و 92 للباحثين فرصة للتعرف على مكانة الولاة الآشوريين في الممالك الآرامية، إذ يصف "هدد يسعي" نفسه ملك جوزن و سيكانو و ازرانو في النص الآرامي، و شاكن (والي) {جوزن} و {سيكاني} و {ازراني} في النص الآشوري. فهو ملك آرامي على رعيته الآرامية ووظيفته والياً آشورياً عليها. وقياساً على هذه الحالة كان شمشي ايلو والياً آشورياً وملكاً آرامياً يتمتع بالاستقلالية الخاصة في المملكة الآرامية السابقة التي كانت تعرف باسم بيت عديني (راجع بيت عديني ص 34).

ولكن كيف تسمى باسم برجاية؟ باديء ذي بدء الاسم شمشي ايلو هو اسم آشوري أو آرامي، وكتابة الاسماء الآشورية بالخط الآرامي غير دقيقة. فمثلاً {شمش نوري} في الآشورية يكتب {س نوري} في الآرامي. وفي النصوص الآشورية لا يذكر نسب الوالي عادة، اما في الآرامية فيكتب النسب وحيثما يستعاض به عن اسم الشخص فمثلاً برجش (=ابن جش) هو اسم السلالة أو الأسرة الحاكمة التي يشار به احياناً إلى الشخص الحاكم، فالحديث عن "برجش" مقصود به شخص حاكم بذاته، و برجاية معناه (ابن جاية أو ابن الجاه) قد لا يكون اسم شخص مثل اسم برهدد (ابن هدد = ابن الرب هدد) بل اسم البيت الحاكم مثل برجش. وعلى هذا الاساس نرجع ان برجاية هو نسب شمشي ايلو ملك "كتك" (35).

ولم تذكر النصوص الآرامية المكتشفة حتى الآن اسم جاية، بل ذكر "سلمانصر" الثالث (858 - 824 ق.م.) انه استلم الجزية من جاون. فمن المرجح ان جاية يساوي جاون. حيث ان جاون قد اقترن باسم {سلينا} أو ساروجي فيكون جاون هو ملك بلاد ساروجي. و ساروجي هو سهل ساروج إلى الشمال والجنوب بلدة عين العرب وفي وسطه الآن "تل حجاب" الذي هو على الأرجح ساروج عاصمة المملكة الآرامية ساروج، التي كانت تقع إلى الشمال من بيت عديني، كانت على ما نظن تابعة لها. وليس من المستبعد ان تكون هذه السلالة المالكة. قد لعبت دوراً في حياة هذه البلاد بعد سقوط سلالة {بيت عديني}، إذ يبدو ان الآشوريين قد فضلوا التعاون معها، وتنصيب أحد أفرادها والياً على بلاد بدلاً من حاكم آشوري (36).

لقد عرضنا شيئاً من الرأي القائل ان شمشي ايلو والي برسيب (=ملك كتك) هو برجاية الذي ابرم معاهدة مع {متع ايل بن عترسمك} ملك ارفاد. واوردنا ذلك كتمهيد للتعريف بـ {برجاية} ملك كتك الطرف الأقوى في المعاهدة، ولعلاقته بتاريخ ارفاد (انظر ص 94 وما بعد).

وما من شك في ان هذه المعاهدة قد فرضت على ارفاد لسبب تجهله. ونرجح انه يعود لخلاف بين برجاية ملك كتك، ومتع ايل ملك ارفاد في الهيمنة على بلاد الشام الشمالية. فكان انصر لـ {برجاية} الذي قيد {ارفاد} بمعاهدة اذا نقضتها حل بها الدمار والخراب، هذا من جهة ومن جهة أخرى نرجح ان برجاية (=شمش ايلو) قد استغل مكانته في قومه كوالي آشوري ليجمع كلمة الآراميين عليهم يرهبون

الآشوريين فيوقفونهم عند حدودهم القديمة. فاستجاب له {متع ايل بن عترسمك}. ان عترسمك هو ابن ادرامو كما ذكر "هدد نيراري الثالث، وقد توفي قبل عصر الملك الآشوري آشور نيراري الخامس، الذي عقد معاهدة مع متع ايل الطرف الثاني في معاهدة برجاية ومتع ايل. ونرجح ان وفاته قد حصلت بعد وفاة هدد نيراري الخامس عام 873 ق.م.، الذي بموته سمحت الفرصة لـ {شمشي ايلو/ برجاية} ان يستقل في ولايته ويعقد المعاهدة مع {متع ايل} الذي اعلى العرش في عهد سلمانصر الرابع على ما نعتقد.

لقد رأينا ملوك القرن التاسع في {ارفاد}: {ياهان} و {جوشي} و {آرام} و {ادرمو} و {عترسمك} تابعين خاضعين للآشوريين، يدفعون لهم الجزية كلما مروا في بلاد الشام. واما متع ايل فيستبان من افعاله غير ذلك. لقد اختار التحالف مع شمشي ايلو ليجمع كلمة الآراميين. ويبدو انهم وفقوا في ذلك فجمعوا حولهم الآراميين الذين ذكروا في نص "الفيرة"، والذين انتشروا في المناطق الممتدة من البليخ شرقاً حتى جبال الامانوس غرباً، ومن اعزاز شمالاً حتى البقاع وبيروود ودمشق جنوباً (37).

ولم يطل الأمر لـ {شمشي ايلو} اذ مات على ما يبدو في عهد {آشور نيراري} الخامس (754 . 745 ق.م.) ففقد {متع ايل} حليفه الأقوى، وفرط عقد الحلف مع مملكته ومع الآراميين الآخرين. وبقي وحده في الميدان ضد الآشوريين الذين سارعوا للانتقام منه. حيث جهز آشور نيراري الخامس حملة قوية على {متع ايل} كان من نتائجها توقيع معاهدة بين الطرفين، يتعهد فيها متع ايل بالامتناع محاربة الآشوريين.

وبهذا الحدث يكون متع ايل قد جرح في الصميم، فاخذ يفتش عن مخرج من هذا المأزق، فتحالف على ما يبدو مع ساردور الثاني حوالي (765 . 733 ق.م.) ملك اورارتو الذي كان خصماً قويا للآشوريين، ونقض عهده مع {آشور نيراري} الخامس، ثم جمع حوله آرامي الشمال، وممالك {ميليدو} و {كوموخو} و {جريم} التي كانت تابعة لاورارتو:

لقد حدث ذلك و تجلات فليصر الثالث (745 . 727 ق.م.) في بداية عهده بالحكم فدفعه ذلك إلى النظر بجدية إلى هذه الأحداث، وهو الذي كان يرنو إلى إعادة مجد آشور واقتفاء آثار أسلافه في محاربة الآراميين.

وما ان انتهى من تنظيم الجيش حتى سار بحملة قوية عام 743 ق.م. نحو "ارفاد". وما ان وصل إلى الفرات، حتى هاجمه ساردور الثالث ووقعت المعركة بين الآشوريين والاوراتيين على ضفاف الفرات الشمالي جرجميش في منطقة {بيرجك} وانتصر الآشوريون وانهمز الاروراثيون، وتابع تجلات فليصر زحفه نحو ارفاد فحاصرها من عام (742 . 740 ق.م.) فسقطت بيده، وجعل منها مقاطعة آشورية. وبهذا خضع آراميو الشمال للآشوريين مثلما خضع قبلهم آرامية الجريبة.

وليس بمقدورنا تعيين حدود ارفاد، بل في وسعنا ذكر أسماء المملكة المجاورة لها. ففي الشرق وصلت إلى الفرات حدود مقاطعة "يل برسيب" (مملكة بيت عديني سابقاً) وفي الجنوب جاورتها مملكة حماة و لعش. وفي الغرب مملكة أنقي في سهل العقم. واما في الشمال فجاورتها من الغرب إلى الشرق ممالك شمال ، و كوموخ، و جرجميش وجبيل (جرابلس). ومن المؤكد ان مناطق غفرين و اعزاز والباب و السفيرة وسمعان كانت تابعة لها.

ولسنا بحاجة إلى ان نصف شكل الحكم في هذه المملكة، وحسبنا ان نذكر انه كان مثل الممالك الآرامية الأخرى. وما المدن التي ذكرت في الوثائق الآشورية على أنها من أملاك مملكة بيت اجوشي، سوى منازل افخاذ عشيرة "اجوشي" أو "جش". ومن المدن التي تردد ذكرها في حوليات الملوك الآشوريين:

عرنه: ويحدد موقعها الباحث حرب فرزات وغيره فهي تل عران، حوالي 20 كم إلى الشرق، في الجنوب الشرقي من حلب في منطقة الجبول. وقد تكون العاصمة الثانية للمملكة (38). لأن سلمانصر الثالث كان يصفها دوماً بهذه العبارة: اقتربت من مدن آرام، مدينة عرنه، مدينة مملكته (39). ومعنى هذا ان عرنه كانت بالغة الأهمية، وكان فيها اقوى شيوخ الافخاذ.

والواقع ان سلمانصر أو على الأصح كتابه، كانوا يذكرون عرنه، ويضيفون عبارة ((عدا مئة من مدنه)) فما هي هذه المدن وأين تقع؟:

نرى بادىء ذي بدئ ان إجماع كتاب المذكرات الآشوريين عن ذكر أسماء المئة مدينة، يعود إلى عدة أسباب ليس من بينها عدم الأهمية، بل ضيق المكان، والمبالغة في العدد. ومما يدعم هذه الحقيقة ان تجلات فليصر الثالث قد ذكر في حولياته أسماء المنازل او المدن التابعة لـ ارفاد ولم تكن مئة بل اقل من ذلك بكثير ومن هذه المدن:

حوارته: التي هي على الأرجح "حوارة النهر" ، حوالي /14/ كم إلى الشرق الشمال الشرقي من "تل رفعت".

خزازو/ عزازو: وهي بلدة اعزاز الحالية. **نيربو:** النيرب قرب {حلب} توكو: مجهولة. **سارونا:** وهي {تل سوران} إلى الشمال الشرقي من حلب. **دنيانو:** وهي {تل أبو ضنة} إلى الشرق من حلب حوالي /25/ كم/ إلى يسار الطريق العام بين حلب و {دير حافر} (40).

وإذا كانت هذه المدن قد ذكرت في حوليات تجلات فليصر، فهناك مدن ذكرت في معاهدة المشار إليها أعلاه كانت تتيح لنا التعرف على المناطق التي شملتها المعاهدة، لو كان بمقدورنا تحديد موقعها بدقة، ولو ان أسماءها غير مشوهة. والحال هكذا نعرض إلى الأسماء التامة غير المختلف عليها. وهي منازل القبائل الآرامية التي تكفل نصوص المعاهدة، وتمتد من مدينة "سمأل" عاصمة "يأدي" قرب منابع النهر الأسود عبر العمق والغاب والبقاع ودمشق ومنها عبر البادية إلى الراقة و "كتك".

وأول ما نلاحظه عند مطالعتنا لهذه الأسماء أنها تخص ممالك آرامية غير مملكتي كتك و ارفاد، فلماذا اذن ذكرت في المعاهدة؟:

ونرى أنها ذكرت في المعاهدة لتشهد على نصها، وعلى التزامات طرفي المعاهدة الواحد نحو الآخر. وبظري ليس هذا الأهم، بل هناك امرأ هامان آخران:

أولهما ان الأمكنة التي ذكرت، ليست إلا منازل قبائل آرامية وافخاذها وإلا لما ذكرت، لأن المهم هو دلالتها السكانية وليست دلالتها الجغرافية.

وثانيهما وإن تفرق الآراميون إلى قبائل . ممالك فقد كانوا يشعرون بالأخوة والتعاضد عند المصائب والشدائد، ويشدون بعضهم بعض في الملمات والمصائب، وإذا اتفقت مملكتان على شيء ما شهد الآخرون على ذلك.

وقصدنا من هذا كله ان نشير إلى أهمية الحدث الذي جمع بين {كتك} و {ارفاد}، ومكانة المملكتين عبر عنه هؤلاء الشهود.

مملكة يادي: شمال

كانت مدينة "شمال" عاصمة هذه المملكة. وهي الآن بلدة {زنشلي}، قرب منابع نهر الأسود (قراصوه)، وقد سيطرت على جبال الامانوس وحوض نهر الأسود تقريباً.

ويبدو ان الموقع مدينة صغيرة مهملة قبل وصول الآراميين إليها، وحينما اتخذها الآراميين عاصمة لهم، اعدوا تنظيمها من جديد، فحصنوها بسور مزدوج، وتزينه الأبراج والبوابات المزوقة بأحسن اللوحات الحجرية ذات النقوش المتنوعة. وفي داخل السور شيّدوا المعابد والقصور. واغلب الظن انهم بدلوا اسمها القديم الذي نجهله إلى {سمأل} أي جهة الشمال كما في العربية . ومثل هذا المعنى الجغرافي يجعلنا نتساءل عن القصد منه بوصف العاصمة بالشمالية، فهل سميت هكذا لأنها نظيرة العاصمة الجنوبية؟! أو شمالية لأنها تقع في اقصى الشمال؟ الحقيقة أن {سمأل} واقعة في اقصى الشمال من بلاد الشام ونرجح انها سميت بهذا الاسم، لأنها اقصى مدينة آرامية في الشمال (41). وعند نهاية القرن الحالي ومطلع هذا القرن قامت بعثة المانية بالكشف على اطلالها. وما عثرت عليه كان أيضاً كتابات لبعض ملوك {سمأل} نقش على نصب ولوحات حجرية، تحكي لنا احداثاً هامة عن سيرة عدد من ملوك هذه المملكة الصغيرة ومن هذه الكتابات كتابة هامة لـ {كلاموه} احد ملوك {سمأل} تعود العام 825 (ق.م.) فيها تعداد لا سلافه وهم: {جبر} و {بمه} و {خيه}، (والد كلاموه) و {شال} (الأخ الأكبر لكلاموه). ولا نعرف عن هؤلاء الملوك الأربعة سوى أسماءهم. ولكن من المرجح ان {جبر} هو مؤسس المملكة لأننا نجد في كتابة تعود إلى عصر سلمانصر الثالث (858 . 824 ق.م.) ان {خيانو} {خيه} هو ابن {جبر} وهو في الحقيقة ابن {بمه} وقد نسبه الآشوريون اليه لأنه مؤسس هذه السلالة.

وفي ضوء الجمل التالية الواردة في نهاية كتابة كلاموه: بعل صمد الذي لجبر اي (بعل صمد رب جبر)، بعل خمون الذي لبمه أي (بعل جمون رب بمه) وراكب ايل سيد البيت، استنتج العلماء، ان {جبر} مؤسس الدولة هو من اسرة غير اسرة بمه الذي ينتسب إلى اسرة غير اسرة {خيه} و {شال} و {كلاموه} هذا يعني ان الحكم قد انتقل إلى اسرة {بمه} بعد وفاة {جبر}. وبعد وفاة {بمه} صار الحكم في اسرة {خيه} والد كلاموه. فأننا نرى ان التعاقب على حكم {سمأل}، كما اورده كلاموه صحيح، وينقى علينا تحديد زمن حكم اسلاف كلاموه {جبر} و {بمه} و {خيه} و {شال} في ضوء المعطيات التاريخية الآشورية التالية:

لقد قدم {خيه} والد كلاموه الجزية لـ {سلمانصر} الثالث (858 . 853 ق.م.) واستعان به كلاموه على اعدائه بالسنوات الأخيرة لحكمه (42). ولهذا يكون كل من {خيه} و {شال} و {كلاموه} قد عاصروا سلمانصر الثالث (858 . 842 ق.م.). وبما ان {خيه} قد دفع الجزية عام 858 ق.م. فلا بد ان يكون اعلى العرش قبل هذا التاريخ وانه توفي بعد عام (853 ق.م.). ومن المرجح انه حكم

في النصف الأول من القرن التاسع ق.م. بينما يقع حكم سلفيه {جبر} و {بمه} في القرن العاشر. اما {شال} و "كلاموه" فقد حكما في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م.

ويدعي كلاموه ان اسلافه لم يهتموا بشؤون المملكة، فقد قال: ملك جبر على يادي، ولم يفعل شيئاً، وكذلك بمه ولم يفعل شيئاً، وكذلك أبي (خيه). ولم يفعل شيئاً، وكذلك أخي شال ولم يفعل شيئاً، (انظر ص 116 ت 117). ولعل "كلاموه" قد بالغ في التقليل من أهمية دور اسلافه ليظهر شهرته، ولكن ربما كان فيما قاله شيء من الحقيقة، ووصف للأوضاع السابقة.

ومن المرجح ان الآراميين قد نزحوا إلى حوض نهر الأسود عندما كانوا بدواً رحلاً، ثم استقر شيوخهم في {سمأل} ، واختلطوا بالسكان السابقين، واخذوا ينظمون انفسهم سياسياً واجتماعياً، ولما تم لهم ذلك أسسوا المملكة بقيادة {جبر}، الذي كان له الفضل الأول في تثبيت سلطانهم. ومن الطبيعي ان يتصرف خلفاء {جبر} -كما فعل هو نفسه- إلى تثبيت اركان المملكة، وتنظيم أمورها وأدريتها، فلم يخلفوا لنا شيئاً هاماً خالداً يشهد على أعمالهم.

ولما جاء {كلاموه} وجد الامن والاستقرار مستتبين، فالتفت إلى العمران واعتنى بأسباب النهوض بالدولة إلى مستوى الدول المجاورة، وجعل منها دولة قوية تعرف كيف تحافظ على اراضيها. كانت مملكة الدانون، اقوى خصومهم في الشمال، عاصمتها {ازيتاودا} الآن "قرى تبه" في حوض "سيحان" 60 كيلو متر إلى الجنوب الغربي من {مرعش}. وحينما تحرشوا ب {كلاموه} وحاولوا التوسيع في أراضيه، استعان عليهم بالآشوريين، فصددهم عن بلاده دون حرب على الأرجح لأنه لم يذكر اية مجابهة معهم. فاثبت انه كفؤ في مجابهة الأعداء، وسياسي بارع اقحم الآشوريين ليكتسب رضاهم ويتقي شرهم.

ولم تظهر كفاءة {كلاموه} في تصديه للمخاطر الخارجية فحسب، بل ايضاً في معالجة المشاكل الداخلية، التي كانت على ما يبدو مستعصية، وتتمثل في الخلاف بين الـ {م ش ك ب م} {الموشكابيم} والـ {ب ع ر م} {البعريم}، (انظر ص 116 وما بعد) فمن هم هؤلاء الذين شغلوا {كلاموه}، ورفعوا مكانته إلى مصاف عظماء المصلحين في التاريخ بعد ان اصلح بينهم؟:

والـ م س ك ب م: اسم مفعول من فعل ش ك ب ويعني: (المستقرون المقيمون... الخ) وقد يشير إلى فئة السكان الأصليين الذين كانوا قبل الآراميين، أو إلى الفلاحين والحرفيين عامة،

والـ ب ع ر م: من ب ع ر (بعار) ويعني: غير متحضر، غير اليف، جلف... الخ). وقد تشير إلى طبقة الحكم من الآراميين البدو أو إلى طبقة المشايخ الحكم. ووفق ما ذكره {كلاموه}، كان مجتمع {سمأل} يتألف من هاتين الطبقتين أي طبقة المشايخ والمتنفذين والأغنياء، وطبقة العوام وقوامها فلاحون وحرفيون ورعاة وكان الفارق بينهما كبيراً جداً، اذ كان الـ {موشكابيم} يتصورون جوعاً، حينما اعتلى {كلاموه} العرش. فسارع لرفع الضيم والحييف عنهم: ومن منهم لم ير شاة أو بقرة بحياته جعله يمتلك قطعاً وفضة وذهباً. ومن منهم لم ير قطعة قماش منذ ولادته كساه بأحسن الثياب فكسب ودهم لما اظع اهره نحوهم من عطف صادق، فخلصوا له إخلاص الأبناء للأمهات كما ذكر في سيرته.

وأقام "كلاموه" العدل بين طبقتي المجتمع، وقال انه منع الـ {موشكابيم} من تقديس الـ {بعرريم} من تقديس {موشكابيم}، أي انه ساوى بينهم. ولقيت كلتا الطبقتين من المحاسنة، وحسن المعاملة، والاهتمام الزائد بمصالحهم، ما لم يلقاه أفراد أي مجتمع آخر معاصر.

ونحن لا نملك ان نصف أقوال {كلاموه} بالمغالاة كما فعل بعض الباحثين، لأننا لم نقع على مناقض لها. وما نقوله هو ان هذه الكتابة فريدة تصف لنا باختصار شديد الأحوال الاجتماعية في هذه المملكة، والأمور المجحفة بحق طبقات المجتمع.

ولا نعرف سنة وفاة {كلاموه} بالتحديد، ولا نعرف اسم خليفته، ومع ذلك يمكن ان نستنتج هذين الأمرين من الأخبار الآشورية. ومن المحقق ان "كلاموه"، الذي استعان بـ {سلمانصر} عام 825 ق.م.. على الدانونيين، قد توفي بعد هذا التاريخ، ونرجح انه توفي عند مطلع القرن الثامن ق.م. وخلفه على العرش {قرل} الذي لم يترك شيئاً يدل على صلته بـ {كلاموه}، بل نعرف انه والد {بناموه} الأول الذي لم ترك كتابة طويلة نقشت على تمثال الرب هذه، الذي نذرو له عند منتصف القرن الثامن ق.م.، اي حوالي عام 750 ق.م. (راجع ص 117) ودلالة ذلك ان {بناموه} قد اعتلى العرش في هذا الوقت، وان {قرل} قد حكم في النصف الأول من القرن الثامن بعد وفاة {كلاموه} على الأرجح.

ودشن {بناموه} الأول عهده بإقامة تمثال للرب هدد، ليعبر عن أيمانه به وبالارباب الآخرين الذين وقفوا إلى جانبه وسلموه صولجان الملك العظيم، ولم يبخلوا عليه بالنعمة والخيرات والبركات، واستجابوا لدعائه على الدوام، كما يقول. ولقد حصل أيضاً على بركة الآلهة، فحقق لشعبه الرفاه والرجاء، وأعاد بناء القرى والمعابد كما يذكر. قبل ان يموت أوصى كل من يجلس على عرش {سماأل}، ويقدم الضحايا والقربان للرب هدد، ان يذكر اسمه وان يخاطب {هدد} بهذه العبارة عسى ان تأكل وتشرب نفس بناموه معك، وتوسل "بناموه" إلى {هدد} ان يكون بعون من ينقذ هذه الوصية، وان يدمر من يخالفها.

وجلس {بره} {ابن الصخر} على عرش {سماأل} بعد وفاة {بناموه} الأول، ولم يصلنا شيء من آثاره. بل روى حفيده {بر راكب} {ابن الراكب} نثفاً عن بعض الأحداث التي وقعت في المملكة خلال عهد جده {برصو} ووالده بناموه الثاني. اذ عندما تولى الحكم نصب تمثالاً ضخماً لوالده بناموه الثاني، ونقش عليه كتابة تاريخية هامة، تحكي قصة نشوب ثورة في {يادي}، ذهب ضحيتها {برصو} وسبعون من اهل بيته. لم يذكر اسباب الثورة (انظر ص 124 وما بعد). ولربما كان سببها ان أسلاف بناموه الثاني قد دخلوا الحلف الكبير، الذي ضم {ارفاد} و {ميليد} و {جرجيم} و {كوموج} الذي كونه ساردور الثالث، ملك {أزارتو} عام 743 ق.م.، ليتصدى للعاهل الآشوري القوي تجلات فليصر الثالث (745 - 727 ق.م.). ومن المحتمل ان يكون هذه الدويلات قد رأت في هذا الحلف سبيلها للخلاص من التبعية الآشورية فانضمت اليه آملة في تحقيق هذا الهدف.

وإذا كان الأمر كذلك فمن هو الذي تحالف مع ساردور؟ أكان {برصر} أم {والده}؟ ونرجح ان يكون بناموه الأول هو الطرف المتحالف، ثم دفع {برصر} ابنه الثمن.

وعلى كل حال فقد انقسمت البلاد إلى حزبين، حزب مناوئ للآشوريين، وحزب آخر موالٍ لهم ير فائدة في معاداتهم وهم اقوى الدول. ويبدو ان هذا الحزب الذي على رأسه {برصر} و {بناموه} الثاني قد قويت شوكته بعد ان قضى "تجلات فليصر" على هذا التحالف عام 743 ق.م. فثار على {بناموه} الأول، وفي خضم الثورة قتل {برصر} واشتد الخلاف بين الحزبين.

ويروي {بر ركب} ان عناية الرب هدد قد خلصت المملكة من الشرور، فاستطاع بناموه الثاني (733 . 743 ق.م.)، وبدعم من الآشوريين، ان يخمد نار الثورة، ويعتلي عرش {سمأل}. بهذا قوي النفوذ الآشوري في شمالي بلاد الشام. ويروي تجلات فليصر الثالث انه هجر سكان {يادي} إلى {الويا} (جبال طوروس الارمنية) ولعله يقصد من هذا مجموعة السكان المعادية التي قامت بالثورة. وفق ذلك حصلت "يادي" على بعض المدن التي اقتطعت من بلاد {جرجم} (جارة شمال الشمالية) وضمت إلى {يادي} (43). وحتى يحافظ {بناموه} على الأمن والاستقرار، قدم له تجلات فليصر حامية آشورية.

وحيثما استتب الامن، والتقطت البلاد انفاسها، وجه بناموه الثاني اهتمامه إلى اعمار البلاد، وترميم الاقتصاد. وذكر ان البلاد في عهده قد شهدت ازدهاراً اقتصادياً لم تعهده من قبل. وقد ظل بناموه على الدوام وثيق الصلة بالآشوريين، حافظاً لعهدهم، دافعاً الجزية المطلوبة. فكان لما هاجم تجلات فليصر دمشق عام (732/733 ق.م.) ان شارك بناموه الثاني لا لحملة فقتل بدمشق، وبكاه {تجلات فليصر} واخوانه الملوك، ونقل جثمانه إلى آشور، واقام له نصب على الطريق بموضع نجهله (راجع ص 122 وما بعد).

ونستنتج مما تقدم انب ناموه الثاني قد حكم من عام (732 . 742 ق.م.) تقريباً وفي ضوء ذلك يكون من {قرل} و {بناموه} الأول و {برصر} قد حكموا منذ وفاة "كلاموه" عند نهاية القرن التاسع وحتى عام 848 ق.م.. وبعهد وفاة "بناموه" الثاني عام 733/732 ق.م.) نصب تجلات فليصر الثالث {بر ركب بن بناموه} على عرش {سمأل}. ويبدو ان {بر ركب} كان محناً للتوثيق. فعلاوة على الكتابة التي ذكرناها اعلاه توجد كتابة أخرى على لوحة حجرية، نقش عليها صورة {بر ركب} وهو واقف، وبجانبه النص الذي يصفه انه {ابن بناموه}، وان {تجلات فليصر} نصبه على عرش ابيه، لأنه الأحق به ونهج بر ركب نهج ابيه في تحالفه مع الآشوريين، والتفت الى العمران، فأعاد بناء قصر والده وجعله اجمل من أي قصر آخر، يقصده الناس لرؤيته كما يقول. ومما ذكره في هذه الكتابة انه كان لملوك "سمأل" قصر "كلاموه" فقط فهو قصر صيفي وشتوي، ولما جاء "بر ركب" بنى قصراً جديداً (انظر ص 127 . 126).

وكان كلاموه قد قال انه أول من بنى قصراً في شمال، فجاء {بر ركب} ليؤكد هذا القول في كتابته هذه، اذ ينسب القصر الوحيد في {سمأل} إلى {كلاموه}. ونرى في هذه الواقعة تأييداً لما ذكرناه عن حال أسلاف كلاموه بعيد وصولهم إلى المنطقة (ص 49).

وادخل بر ركب عبادة الرب بعل حران ((سن اله القمر)) إلى "سمأل"، وهو الذي قدسه الاكديون والبابليون والآشوريون. ونلمح في هذا التصرف خضوعاً للآشوريين. وتملقاً لهم. ومع أننا لا نعرف فيما اذا كان "بعل حران" قد نافس هدد، ففرج ان هدد بقي المرتبة الأولى.

لقد توصل {بر ركب} إلى الحكم بعون الآشوريين عام (733 / 732 ق.م.) وتحدث في كتاباته عن اعماله، ولا ندري كيف كانت نهايته وكيف كانت صلته ب {شلمانوا شيرد} الخامس (سلمانصر) (726 . 726 ق.م.)، الذي ضم منطقة كيليكيا إلى آشور حوالي عام 725 ق.م..، حسبما ذكر في وثائق متأخرة (44) وحسبنا ان نرى في هذه الواقعة اشارة إلى احتمال ان تكون مملكة "سمأل" قد ضمت إلى آشور في هذا الوقت.

وإذا كان الأمر كذلك يكون بر ركب، آخر ملك آرامي، وحكم (725 . 733 ق.م.) وما من شل في أن الآشوريين قد استعملوا ولاية آشوريين على هذه البد نعرف منهم {نبو . اخو . ايرسو} الذي كان والياً عام 718 ق.م. أي عهد {س . اخي . رب} {سنحاريب}

(681 - 705 ق.م.) و اسرحدون (669 - 681 ق.م.) الي ترك نصباً ضخماً في {سمأل}، يؤيد نفوذ الآشوريين عليها. وغالى جانب هذا الوالي نعرف اسم والي آخر هو {بيلي - سينو} ولا نعرف متى حكم (45).

ونستنتج من ذلك كله ان هذه المملكة قد عاشت من حوالي عام 1000 - 725 ق.م. وازدهرت الحياة فيها منذ مطلع القرن التاسع وحتى اندثارها.

- 1-J. R. Kupper, op.cit.P. 117.
- 2- J. R. Kupper, op.cit.P. 126.
- 3 - J. R. Kupper, op.cit.P. 126
- 4- Frhr. v Oppenhe im, DerTell Halaf M. 1939
- 5- F. Allbright, Anafolien Studies 6 (1956), P76.
- 6- F. Albright, op. cit. P. 85
- 7- A. Abou Assaf et al, La Statue de Tell Fekherya (1982
- 8- Die Inschriften vom Tell Halaf.AfO Beiheft6 (1967), P. 7
- 9- A. K. Grayson, Assyrian Royal Inscriptions, Part 2 (1976), P. 91
- 10-A. K. Grayson, op. cit. P. 102-105
- 11-H.Sader,op.cit.P.213
- 12- الحوليات الاثرية السورية، 2، (1952) ص 174 وما بعد
- 13- A. K. Grayson, op. cit. P. 124ff
- 14- H: Tell Leilan and Mari in the second Millennium;AAAS34 (1984) P. 155ff.
- 15H.Kühne Tell Schech Hamad:AAAS(1984) P.160

لم تشير الوثائق. وقد اطلعت عليها اثناء وجودي في برلين من 3 11 1987م حتى 31 1 1987م-16

- 17- Thureu Dangin, Til Barsib (1936), P. 119 f.
- 18-A. Lemaire et J. M. Dunand, Les Inscription Araméennes De sfiré et l Assyrie De Shamshlllui (1984) ,P.47ft.
- 19-H.Sacler,op.cit.P.49f.
- 20- H.Sacler,op.cit.P.81f.
- 21-H.Sacler,op.cit.P.58ff.
- 22-Thurean Dangin, op. cit. P. 3.
- 23-Thurean Dangin, op. cit. P. 134.

- 24-Lemaire et..., op. cit. P, 43 ff.○
 25- A. Lemaire et..., op. cit. P. 39
 26-A. Moortgat, Altvorderasiatische Malerei(i959), Abb. 5.
 27- H.Sader,op.cit.P. 100.
 28- A. Lemaire et..., op. cit. P. 59 ff.
 29- H.Sader,op.cit.P.101ff.

30 ويستحسن ان الفت النظر هنا إلى ان الدكتور حرب فرزت قد بحث في تاريخ هذه المملكة ولم يشير بحثه بعد، بل اطلعتني عليه مشكوراً. ومن بعده درست الدكتوراة "هلين صادر" الممالك الأرامية، ومن بينها مملكة "بيت اجوشي". وقد جمعت كلى الوثائق المتعلقة بها قديمها وحديثها. وتسهيلاً لمهمة القارئ والمراجع نكتفي هنا بالاشارة إلى هذا المصدر.

- 31-H.Sader,op.cit.P.104
 32- H.Sader,op.cit.P 105
 33- H.Sader,op.cit.P 107 f.
 34- H.Sader,op.cit.P 113.
 35- A Lemaire et..., op. cit. P. 43 ff.
 36-A Lemaire et..., op. cit. P. 53ff.
 37-A Lemaire et..., op. cit. P. 72 ff.
 38- A Lemaire et..., op. cit. P. 77ff.
 39- H.Sader,op.cit.P. 108.f
 40- H.Sader,op.cit.P. 127 , 152.f.

41- ونلاحظ ان الباحثين يقرؤون اسم سمأل لورودة في الآشورية على هذا النحو: س - م - ا - ل - أ : شملي نسبة الى شمال. ونحن نفضل القراءة سمأل لان الالف بين حرف الميم وللام غير مهموزة.

- 41- H.Sader,op.cit.P. 156 , 160.f.
 42- Fischer Weltgeschichte, Die Altorientalischen Reiche, Die erste Hälfte des 1. Jahrtausen s(1967), P.

